

أضواء البيان

@ 14 جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ { ، هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء ، بدليل لفظة التي هي للترتيب والانفصال . .

وكذلك آية حم السجدة ، تدل أيضاً على خلق الأرض قبل السماء ، لأنه قال فيها : { قُلْ أَعَزُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمٍ مَّيْنٍ } إلى أن قال { ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ } . .

مع أن آية النازعات تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء ، لأنه قال فيها { أَعَانَتْكُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا } ، ثم قال : { وَالْأَرْضُ رُضًا بِعَدَدِ ذَلِكَ دَحَاهَا } . .

اعلم أولاً أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن الجمع بين آية السجدة وآية النازعات ، فأجاب بأن الله تعالى خلق الأرض أولاً قبل السماء غير مدحوة ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبعاً في يومين ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، وجعل فيها الرواسي والأنهار وغير ذلك . . فأصل خلق الأرض قبل خلق السماء ، ودحوها بجبالها وأشجارها ونحو ذلك ، بعد خلق السماء .

ويدل لهذا أنه قال : { وَالْأَرْضُ رُضًا بِعَدَدِ ذَلِكَ دَحَاهَا } ولم يقل خلقها ثم فسر دحوه إياها بقوله : { أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا } وهذا الجمع الذي جمع به ابن عباس بين هاتين الآيتين واضح لا إشكال فيه . مفهوم من ظاهر القرآن العظيم إلا أنه يرد عليه إشكال من آية البقرة هذه . .

وإيضاحه أن ابن عباس جمع بأن خلق الأرض قبل خلق السماء ، ودحوها بما فيها بعد خلق السماء . .

وفي هذه الآية التصريح بأن جميع ما في الأرض مخلوق قبل خلق السماء لأنه قال فيها { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَسَا فِي الْأَرْضِ رُضًا جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ } . .

وقد مكثت زمناً طويلاً أفكر في حل هذا الإشكال حتى هداني الله إليه ذات يوم ففهمته من القرآن العظيم . .

وإيضاحه : أن هذا الإشكال مرفوع من وجهين ، كل منهما تدل عليه آية من القرآن .